أهمية تعلم السيرة النبوية والعمل بها في مواجهة تحديات الإساءات المتكررة لشخص النبي ﷺ

The Importance of Learning the Prophetic Biography and Taking it as a Role- Model in Facing the Challenges of the Continuous Offences to the Person of the Prophet

الاستاذ المساعد الدكتور

محمد حسن علي ظاهر الطائي

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة/ نينوى

Assistant Professor Dr

Mohammad Hasan Ali Dhahir Al.Tayye

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية – الاساءات – الدعوة – الاجتماعية – الاقتصادية – السياسية – العسكرية

الملخص

يتناول البحث أهمية تعلم السيرة النبوية ودراستها والعمل بها، من عدة نواحي: دعوية وعلمية، اجتماعية واقتصادية، سياسية وعسكرية، وما لذلك من أثر في نصرة النبي (ﷺ) والذود عنه من الإساءات المتكررة التي تنال من شخصه الكريم ومن سيرته العطرة ومن آل بيته وصحابته الأخيار الأطهار، والتي تشكل تحدياً كبيراً يطال الإسلام والمسلمين بين الحين والآخر.

Abstract

The research addresses the importance of learning the prophetic biography, studying it and acting according to it, from different aspects; namely, the call for Islam, the scientific, the social, the political and the military aspects, and what impact that has on supporting the prophet and defending him against the repeated offences which target his venerable person, his honourable biography, his family and his pure and righteous companions, and constitute a great challenge that confronts Islam and Muslims from time to time.

المقدمة

الحمد لله ناصر نبيه والمؤمنين وهازم أعدائه أعداء الدين، والصلاة والسلام على رسول الله المنصور المؤيد الموعود بالنصر والتمكين من الجبار ذي القوة المتين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فقد اختار الله تعالى محمداً بن عبدالله الصادق الأمين خاتماً للأنبياء والمرسلين، فبعثه على فترةٍ من الرسل ودنوٍ من الساعة وقربٍ من الأجل، واختط له منهاجه وطريقه في الدعوة إلى عبادته (ﷻ)، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الوثنية إلى نور الإسلام وعبادة الله الواحد الأحد، فسار النبي (ﷺ) يدعو الناس ولقي (صلوات ربي وسلامه عليه) ما لقيه من مشركي قريش والقبائل العربية ومن يهود ما لقيه من تكذيب وأذىً واضطهادٍ - ولازالت الألسن السفيهة الحقيرة تتطاول على شخصه الكريم حتى يومنا هذا - حتى أكمل ما كُلِف به من مهمة الدعوة الإسلامية بدوريها المكي والمدني، فما انتقل (ﷺ) إلى جوار ربه إلا بعد أن أكمل هذه المهمة وقام بها على أتمها قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] فهذه الدعوة وهذه الحياة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم أُطلق عليها «السيرة النبوية» والتي يمكن تعريفها بأنها: الترجمة المأثورة لحياة النبي (ﷺ) والتي تشتمل على ذكر أدق التفاصيل عن حياته (ﷺ) سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها في المرحلتين المكية والمدنية.

وقد لقيت سيرة النبي (ﷺ) اهتماماً واسعاً - تعلماً وتعليماً وتأليفاً - ومنذ عصر الصحابة ومروراً بعصر التابعين والعصور الإسلامية اللاحقة وصولاً إلى يومنا هذا. فمن خلالها نرسم منهج الحياة الكامل والمتكامل ونستلهم الدروس والعبر والعظات، ونتعلم ما علينا من حقوق تجاه هذا النبي الكريم الذي بذل الغالي والنفيس لهدايتنا، ولعل من تلك الحقوق التي في أعناقنا تجاهه (ﷺ) هي حق نصرته والذود عنه وعن عرضه وسنته وسيرته العطرة. ولا يكون ذلك إلا من خلال تعلم سيرته وتعليمها لأبنائنا وطلابنا ومجتمعنا.

ورغبة في مشاركة الباحث بأعمال المؤتمر العلمي الدولي الخامس عشر الذي تقيمه كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة والموسوم (الشريعة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة)، وحرصاً على بيان أهمية دراسة السيرة النبوية في نصرة النبي (ﷺ) جاء بحثنا هذا تحت عنوان «أهمية تعلم السيرة النبوية والعمل بها في مواجهة تحديات الإساءات المتكررة لشخص النبي ﷺ» لنبين من خلاله صورة من صور نصرة أمة الإسلام لنبيها (ﷺ)، وذلك من خلال بيان أهمية دراسة السيرة النبوية وأهمية تعلمها وتعليمها والعمل بها، حيث أن تعلم السيرة النبوية تكسب المسلم محبة الرسول (ﷺ) وتنميها وتباركها، ويتعرف من خلالها

(١) سورة المائدة: من الآية 3.

على حياة الصحابة الكرام الذين جاهدوا معه (ﷺ)، فتدعوه تلك الدراسة لمحبتهم والسير على نهجهم واتباع سبيلهم، كما أن السيرة النبوية توضح للمسلم حياة الرسول (ﷺ) بدقائقها وتفاصيلها منذ ولادته وحتى موته، مروراً بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه، وتُظهر بوضوح أنه كان زوجاً وأباً، وقائداً ومجاهداً، وحاكماً وسياسياً، ومربياً وداعيةً، وزاهداً وقاضياً، وعلى هذا فكل مسلم يجد بغيته في هذه السيرة العطرة، ويستطيع من خلالها تفنيد الادعاءات الكاذبة التي يلصقها الأعداء اليوم بالإسلام عموماً وبشخص النبي (ﷺ) على وجه الخصوص.

من هنا نجد بأن أهمية دراسة السيرة النبوية تأتي من حيث دخولها في عدة جوانب، أهمها: الجانب الدعوي، الجانب العلمي، الجانب الاجتماعي، الجانب الاقتصادي، الجانب السياسي، والجانب العسكري. ونظراً لما لهذه الجوانب من أهمية في عكس خلق النبي (ﷺ)، ومنهجه الاصلاحي في الحياة، ودعوته الرحيمة للناس عموماً، فسيكون التركيز عليها في بحثنا المتواضع هذا.

وختاماً نقول أن كل باحث لا يمكن أن يسلم من الخطأ أو السهو لأن الكمال لله وحده الذي ندعوه أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يعفو عن زلاتنا، وأن يستخدمنا في خدمة الإسلام ونصرة نبيه العدنان صلوات ربي وسلامه عليه .. والله ولي التوفيق.

المبحث الأول
أهمية السيرة النبوية من الجانبين الدعوي والعلمي

أساس رسالة الإسلام هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده وإفراده بالعبادة، وهي أساس دعوة النبي (ﷺ) التي بُعث من أجلها هو وجميع أنبياء الله ورسله من قبله. فالدعوة هي الأساس التي بُعثت من أجلها الرسل، وعبادة الله تعالى وحده هي الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1]. كما يعتبر العلم ودرجة التعلم ميزان عقل الإنسان الذي يهتدي به ويستنير بنوره ويفرق من خلاله بين الحق والباطل، ولذلك جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد على أهمية العلم والتعلم، وكفى بذلك أن كانت أول آياتٍ نزلت على قلب الحبيب المصطفى (ﷺ) فيها الدعوة إلى العلم والتعلم والقراءة قال عز من قائل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[2]. وللسيرة النبوية وتعلمها وتعليمها والعمل بها أهمية كبيرة في هذين الجانبين الأساسيين وكما سنبين من

(١) سورة الذاريات: الآيات ٥٦-٥٨.
(٢) سورة العلق: الآيات ١-٥.

خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: أهمية السيرة النبوية من الجانب الدعوي:

إذ تبين السيرة النبوية المنهج الذي سار عليه النبي (ﷺ) في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال الأسلوب الدعوي الراقي الذي تنباه (عليه السلام) في دعوته للناس، والذي تمثل فيما يأتي:

أولاً: اتباع القاعدة الشرعية في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

وهذه القاعدة هي القاعدة الأساس التي قامت عليها الدعوة في العصور الإسلامية اللاحقة، والتي من خلالها فتحت البلدان، وتمكن المسلمون من خلالها من ائتلاف قلوب الناس إلى الإسلام، فاعتنق الكثيرون الإسلام لا خوفاً من جنوده بل إيماناً به وبما جاء به من الألفة والتسامح وحسن التعامل مع الآخر.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على زيف وكذب ادعاء أعداء الإسلام وأعداء نبيه العدنان، وافتراءهم عليه (ﷺ) بأنه جاء بالسيف ودعا إلى الإسلام بالقوة. وهذا الأمر مخالف لما نلقاه من خلال دراسة الجانب الدعوي في سيرته العطرة (ﷺ)، والتي تؤكد بأنه (صلوات ربي وسلامه عليه) صبر على أذى قريش وتكذيبهم له واضطهاده وأصحابه (رضي الله عنهم) على مدى الثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة الإسلامية في مرحلتها المكية، على الرغم من أنه كان له خيار الانتقام من قريش وما فعلته به وبأصحابه، وذلك من خلال النصر الإلهي الذي تجلى له (ﷺ) بعد عودته من الطائف، ومجيء جبريل ومعه ملك الجبال يستأذنه بأن يطبق عليهم الأخشبان، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها سألت النبي (ﷺ) فقالت له: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال (ﷺ): ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً))[2] فبالرغم من كل ما لاقاه من قريش إلا أنه (ﷺ) كان حريصاً على هدايتهم وإخراجهم من ظلمات شركهم وكفرهم إلى نور الإسلام والتوحيد. وهذا الحرص النبوي له (ﷺ) على

(١) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: ٣٢٣١، ٤/ ١١٥؛ صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: ١٧٩٥، ٣/ ١٤٢٠.

هداية قومه سار معه طوال حياته (صلوات ربي وسلامه عليه) فلم يكن ليأخذ بثأره منهم حتى بعد أن مكَّنه الله عليهم في غزوة بدر، فنراه يعطف على الأسرى ويطلق سراحهم لقاء فدية يؤدونها أو لقاء تعليم كل واحدٍ منهم عشرة من غلمان المسلمين القراءة والكتابة، على الرغم من أن الله تعالى أنزل آيةً بعد ذلك تبين الأسلوب الذي كان على الرسول (ﷺ) اتباعه مع هؤلاء الأسرى سيما وأنها كانت أولُ غزوةٍ فاصلةٍ مع قريش فرق الله بها بين الحق والباطل، فقال تعالى في شأن هؤلاء الأسرى﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾[1]. ثم امتد هذا الحرص النبوي بعد أن مكَّن الله تعالى لرسوله والمؤمنين فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة فعفى رسول الله (ﷺ) عن قريش وقال لهم: ((يا معشر قريش، ما تقولون؟)) قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول قالوا مثل ذلك، قال: ((فإني أقول كما قال أخي يوسف:﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾[2]))[3].

كما أن دعوة التسامح والتعايش السلمي تجلت كذلك في سعيه (ﷺ) لائتلاف قلوب أهل الكتاب إلى الإسلام، وذلك من خلال القاعدة الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم بقول الله تعالى﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[4]، فسعى رسول الله (ﷺ) لإخراج أهل الكتاب من ما هم عليه من الكفر والإشراك وإعادتهم إلى جادة الصواب، وذلك من خلال صحيفة المدينة التي أقامها حال مقدمه المدينة مهاجراً إليها من مكة، والتي تضمنت في بنودها ما يؤكد على أن يهود المدينة هم أمة من دون المسلمين لهم ما للمسلمين من الحقوق وعليهم ما عليهم من الواجبات، فكتب (رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم ... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته ... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ...)[5]، ثم أنه (ﷺ) دعاهم علناً إلى الإسلام لعل الله أن ينقذهم به (صلوات ربي وسلامه عليه) فجاء في نصيحته ليهود بني قينقاع أنه

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.
(٢) سورة يوسف: من الآية ٩٢.
(٣) السنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير، باب قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل، رقم: ١١٢٣٤، ١٠/ ١٥٤. وفي رواية أنهم قالوا: أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ، فقال ﷺ: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)). ينظر: السنن الكبرى للبيهقي: كتاب السير، باب فتح مكة، رقم: ١٨٢٧٦، ٩/ ١٩٩.
(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.
(٥) سيرة النبوية ابن هشام: ١/ ٥٠١-٥٠٤.

قال لهم: ((يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌ مرسلٌ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم)) لكنهم بدل تصديقه والإيمان به (ﷺ) تحدوه علناً فقالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس[1]، فكان حرياً بهؤلاء اليهود أن يعيشوا بسلامٍ مع المسلمين في ظل دولة العدالة والتسامح التي أقامها رسول الله (ﷺ) في المدينة، لكنهم بحكم ما جُبلوا عليه من قتلهم وتكذيبهم لأنبياء الله ورسله بدأوا يحيكون الدسائس والمؤامرات على المسلمين، تارةً بالاعتداء على عرض المسلمين وقتلهم للرجل المسلم في سوق بني قينقاع[2]، وتارةً أخرى بمحاولة يهود بني النضير قتل النبي (ﷺ)[3]، وثالثة بتآمر يهود بني قريظة مع الأحزاب يوم الخندق[4]، فما كان منه (ﷺ) أما هذا الغدر وهذه الخيانة إلا أن يجلي هذه القبائل اليهودية الثلاثة من المدينة عقاباً لما ارتكبوه.

كما مَثَّلَ كتاب الصلح الذي عقده رسول الله (ﷺ) مع نصارى نجران قمة العدل والإنصاف في التعامل مع أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام بصورةٍ غير مباشرةٍ من خلال ما تضمنه هذا الكتاب العادل والذي جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران - إذ كان عليهم حكمه - ... ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أُسقفٌ من أسقفيته ولا راهبٌ من رهبانيته ولا كاهنٌ من كهنته وليس عليه ذنبه. ولا دم جاهلية ولا يحسرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة. ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متفلتين بظلم) وقد أشهد رسول الله (ﷺ) من كان معه من الصحابة على هذا الكتاب فكان فيهم أبو سفيان صخر بن حرب والمغيرة بن شعبة والأقرع بن حابس وغيرهم (رضي الله عنهم)[5].

بهذا الخلق العالي والسامي عامل رسول الله (ﷺ) أهل الكتاب وأمر الصحابة (رضي الله عنهم) بمعاملتهم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنى وعدم إكراههم على الإسلام، وهو ما سارت عليه الخلافة الإسلامية في عصورها اللاحقة فلم نسمع ولم يرد في الكتب والمصادر التاريخية أن أهل الكتاب في العصور الإسلامية اللاحقة كانوا قد أُجبروا على اعتناق الإسلام.

ثانياً: التدرج المنهجي الصحيح الذي سار عليه

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٩٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٠-٢٢٢.
(٥) ينظر: الخراج لأبي يوسف: ص٨٤-٨٥.

النبي (ﷺ) في الدعوة، وذلك من خلال:

١. دعوة أهل بيته والمقربين إليه، فآمنت به (ﷺ) زوجته خديجة بنت خويلد وصاحبه أبو بكر الصديق وربيبه وابن عمه علي بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة (رضي الله عنهم)، ثم جهد أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، فأخذ يدعو من يثق به من قومه ممن يجلس إليه، فأسلم على يديه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام (رضي الله عنهم)، ثم أسلم بلال الحبشي وأبو عبيدة عامر بن الجراح وسعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وعبد الله بن مسعود وخلق سواهم، وأولئك هم السابقون الأولون[١].

٢. إنذار عشيرته الأقربين، حيث جاء الأمر الإلهي بذلك فقال عز من قائل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[٢]. وأول ما فعل رسول الله (ﷺ) بعد نزول هذه الآية أنه دعا بني هاشم فحضروا، ومعهم نفر من بني المطلب، فبدأ أبو لهب بالكلام ولم يترك المجال للنبي (ﷺ). ثم دعاهم ثانية وقال: ((الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً)) فلان له قلب عمه أبو طالب، وقال له: امض لما أُمرت به، فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على ترك دين عبد المطلب. فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما حيينا[٣]. وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما نزل قول الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، صعد رسول الله ﷺ على الصفا، فجعل ينادي بطون قريش، حتى اجتمعوا فكان أحدهم إذا لم يستطع أن يحضر أرسل من ينوب عنه لينظر ما يجري، فقال (ﷺ): ((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟)) قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً قط، قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزل فيه قول الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾[٤]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فقال لهم: ((يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم

(١) ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبار كفوري: ص66-65.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 660-659/ 1؛ الرحيق المختوم: ص ٦٨-٦٩.

(٤) سورة المسد: الآيتان ١-٢. وينظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك﴾، رقم: ٤٧٧٠، ٦/ ١١١.

من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها))[1].

٣. بعد ذلك جاء الأمر الإلهي بإعلان الدعوة على جميع قبائل قريش والصدع بها، حيث نزل قول الله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[2]، فبدأ رسول الله (ﷺ) يجهر بدعوته لجميع بطون أهل مكة ولمن جاءها من خارجها.

ثالثاً: أخلاق النبي (ﷺ) وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى: والتي مهدت الطريق له (ﷺ) لتقبله في نفوس الناس وتقبلهم لدعوته وما جاء به من الله تعالى، فنراه عندما نادى ليجمع بطون قريش على الصفا ليدعوهم إلى الإسلام يقول لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بهذا الوادي تريد أن تغزوكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً قط، فهذا الصدق وما عُرف به قبل البعثة بالصادق الأمين كل ذلك قاد العديد من أبناء قبيلته قريشاً للإيمان به. كما نراه (ﷺ) وأمام كل ما لاقاه من زعماء قريش من التكذيب والاستهزاء والتطاول عليه أحياناً، نراه يُعرض عن ذلك في كثير من الأحيان ويلتزم الصمت، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على عظم أخلاقه وجميل صفاته (صلوات ربي وسلامه عليه).

فبذلك يجد الداعية في سيرة النبي ﷺ أساليب الدعوة الإسلامية، وأدوارها ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الطرق والوسائل المناسبة لكل دورٍ أو مرحلةٍ، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد الكبير الذي بذله رسول الله ﷺ من أجل إعلاء كلمة التوحيد، وآلية التصرف أمام العقبات والعوائق والصعوبات[3]، وبالتالي تُبرز دراسة السيرة دور الداعية في تحمل مسؤولية نشر الدين، وبذل الجهد وتحمل الأذى والصبر عليه، ومواجهة ادعاءات أعداء الإسلام بقولهم إن الإسلام انتشر بحد السيف، وتفنيد ذلك بالاعتماد على سيرة النبي (ﷺ) وأسلوبه الدعوي الراقي الذي سار عليه والذي أمر الصحابة ومن بعدهم الأمة باتباعه، والذي كان فيه السيف الخيار الأخير وكما سنبين لاحقاً.

المطلب الثاني: أهمية السيرة النبوية من الجانب العلمي:

إذ تعتبر السيرة النبوية مصدراً مهماً لمن يريد التبحر في علوم الشريعة، ولمن أراد التفقه في كتاب الله العزيز:

أولاً: فعن طريقها يتمكن المفسر من تفسير العديد من آيات القرآن الكريم ومعرفة أسباب نزولها، والناسخ والمنسوخ منها، والأحكام الخاصة بها[4]. كما يمكن للمحدث من خلال السيرة النبوية أن يتبحر في علم الحديث من خلال الوقوف على الأحاديث

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، رقم: ٢٠٤، 1/192.
(٢) سورة الحجر: الآيتان ٩٤-٩٥.
(٣) ينظر: السيرة النبوية للصلابي: ص٥.
(٤) ينظر: فقه السيرة النبوية للبوطي: ص٢٢.

النبوية الشريفة والمناسبات التي جاءت فيها، بل وبيان صحة هذه الأحاديث من خلال الوقوف عند سلسلة الرواة وصولاً إلى النبي (ﷺ).

ثانياً: كما لا يخفى على كل ذي بصيرةٍ ما حملته الكثير من سور القرآن الكريم من أسماء جاءت وفقاً لأحداث في السيرة المطهرة، كالغزوات والحوادث التي وقعت خلال عصر الرسالة، ومنها:

١. سورة الأنفال والتي نزلت في أعقاب غزوة بدر فجاءت متضمنة لكثير من الوقائع والأحداث التي رافقت هذه الغزوة وأهمها الغنائم التي جاءت التسمية فيها إذ أن المقصود بالأنفال هي الغنائم.

٢. سورة التوبة والتي سميت بهذا الاسم لما جاء فيها من توبة الله تعالى على المؤمنين، كما سميت سورة براءة لأنها تضمنت براءة الله ورسوله من المشركين، كما سميت سورة البحوث والفاضحة لأنها بحثت عن أسرار المنافقين وفضحتهم ... إلخ.

٣. سورة الإسراء والتي تناولت واحدة من أعظم معجزات النبي (ﷺ) بعد القرآن الكريم، ألا وهي رحلة الإسراء والمعراج[١]، هذه الرحلة الكونية التي بدأها النبي (ﷺ) بالإسراء به على ظهر البراق رفقة جبريل (عليه السلام) إلى بيت المقدس ثم العروج به إلى السماء ورؤية العديد من الأمور وفرض الصلوات الخمس، فالعودة مرة أخرى إلى بيت المقدس ثم مكة المكرمة، وكل ذلك حصل له (ﷺ) في ليلة واحدة بل في غضون دقائق معدودة حتى أنه عاد إلى فراشه وكان لا يزال دافئاً.

٤. سورة الأحزاب (الخندق) هذه الغزوة التي تناولت واحدة من أبرز غزوات المسلمين، تلك الغزوة التي تحالفت بها قبائل الشرك مع اليهود لغزو المدينة، ولكن الله تعالى رد كيدهم في نحرهم بفضله تعالى أولاً ثم بفضل حكمة النبي (ﷺ) في القتال وأخذه للشورى وحفره الخندق الذي وقف حاجزاً منيعاً أمام الأحزاب، ولتكون هذه الغزوة البوابة لفتح مكة فيما بعد سيما وأنها كانت النهاية لغزو قريش للمدينة والتي قال النبي (ﷺ) في أعقابها: ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم))[٢].

٥. سورة الحشر والتي يسميها ابن عباس سورة بني النضير[٣]، لأنها تناولت الغزوة التي قادها النبي (ﷺ) لغزو يهود بنو النضير.

٦. وكذلك الحال بالنسبة لسورة الفتح وسورة الحجرات والمجادلة والطلاق...الخ من أسماء العديد من السور التي جاءت متضمنة لأحداثٍ من السيرة النبوية.

ثالثاً: ومن خلال دراسة السيرة النبوية نبين أهمية

(١) تلك الرحلة التي لاقت تشكيكاً وتكذيباً ليس من قريش فحسب، بل من كثير من المستشرقين - في العصر الحديث - الذين شككوا بهذه المعجزة. (ينظر في ذلك: فقه السيرة النبوية للبوطي: ص١٦٢). فبالتالي الذي يقرأ السيرة النبوية ويتمعن بها، ويؤمن بهذه المعجزات النبوية يستطيع أن يرد على مزاعم وادعاءات مثل هؤلاء.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم:4110، 5/ 110.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: 8/ 86.

العلم والتعلم، والمنهج التربوي العلمي الصحيح الذي أقامه النبي (ﷺ) وربى الصحابة عليه والأسس التي اتبعها وراعاها النبي المربي محمد (ﷺ) في تربيتهم (رضي الله عنهم) والتي من أهمها:

١. توحيد مصدر التلقي وتفرده وذلك بأن يكون القرآن الكريم وحده المنهج والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم والاسرة المسلمة والجماعة المسلمة.

٢. التيسير والتسهيل على الصحابة في حفظهم للآيات القرآنية وتعلمها، لكي يتقنوا حفظها وسبب نزولها وما تحويه من أحكام وأوامر ربانية تربوية وتعليمية، وفي ذلك يقول عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه): (كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آياتٍ لم نتعلم العشر التي نزلت بعدها حتى نتعلم ما فيها، يعني من العلم)[١]، وكل ذلك مع التأكيد على التطبيق العملي لهذه الآيات في الحياة اليومية.

٣. وكذلك اهتمام النبي المربي (ﷺ) على تخليل مجالس التربية والتعليم بالموعظة الحسنة والترفيه على الصحابة حتى لا ينفروا ولا يضجروا، وفي ذلك يقول ابن مسعود (رضي الله عنه): (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[٢].

٤. هذا بالإضافة لأهمية تربية وتعليم المرأة المسلمة لما تشكله من ثقل في المجتمع الاسلامي، من خلال تنشئة البنت المؤمنة التقية والزوجة الصالحة والأم الحنون التي تربي أَولادها وتهيئاهم لأَن يكونوا صالحين مصلحين، وهذا ما أكد عليه النبي الكريم محمد (ﷺ) من خلال تعليمه للصحابيات أمور دينهم ودنياهم، فقد رُويَ عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنه قال: ((جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فأجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: ما منكن امرأة تُقدم بين يديها من ولدها ثلاثةً إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأةٌ منهن: يا رسول الله، أو اثنين، فأعادتها مرتين، ثم قال: واثنين واثنين واثنين))[٣]. ولنساء اليوم المثل الأعلى والأسوة الحسنة في تربية صحابيات النبي (ﷺ) وتعلمهن على يديه وانتهالهن العلم والمعرفة منه (ﷺ).

فمن خلال معرفة الجانب العلمي في السيرة النبوية، يمكننا أن نفند الادعاءات الغربية المغرضة التي شوهت صورة الرسول الكريم (ﷺ) ووصفته بأوصافٍ بدائية، إذ يستحيل أن يستطيع رجل بدائي لا يفقه من الحياة شيئاً، أن يقيم دولة أساسها العلمي والمعرفي امتد لمئات السنين، وأمست أساس التطور

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: رقم: ٢٠٩٩، ١/ 755؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: 1/ 490.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم: ٦٨، ١/ ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، رقم: ٧٣١٠، ٩/ ١٠١.

والحضارة في العالم خلال عصور إسلامية متعددة بدءاً بعصر صدر الإسلام ثم العصرين الأموي والعباسي، ويكفي تفنيداً لهذه الادعاءات أن معجزة الرسول الكريم محمد (ﷺ) الكبرى كانت القرءان الكريم ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، والذي سيبقى خالداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، والذي قال فيه منصفو الغرب كمايكل هارت: (لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه وكلماته كاملاً دون تحوير أو تغيير سوى القرآن الذي نقله محمد ﷺ)، وقال عنه توماس كارليل (القرآن هو ذلك الكتاب الذي يقال عنه: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)، وقال عنه وعن سيدنا محمد (ﷺ) شبرك النمساوي (إن البشرية جمعاء لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها، إذ أنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريعٍ، سنكون نحن الأوربيون أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمته)، وإلخ من المقولات التي خلدها التاريخ[2].

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
أهمية السيرة النبوية من الجانبين الاجتماعي والاقتصادي

أساس بناء الدولة القوية المتماسكة، هو بناء الإنسان بناءً خُلقياً صحيحاً، فمتى ما تمتع الإنسان بالأخلاق العالية ساهم في نهضة دولته ومجتمعه، وساهم في كافة الجوانب الأخرى بصورةٍ ايجابية وفاعلة. ولغرض بناء الانسان الذي سيساهم في بناء المجتمع بكافة جوانبه، فلا بد من توفير القاعدة الاقتصادية اللازمة لهذا البناء، وتوفير سبل العيش الكريمة لكافة أفراد المجتمع. وبدوره فقد أقام الرسول الكريم محمد (ﷺ) مجتمعاً قل نظيره – بل لم يأتي مثله أبداً[3]– تجسدت فيه كل معاني البناء الدعوي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري الصحيح، ففي المجالين الاجتماعي والاقتصادي أقام (ﷺ) دولةً متميزةً تجسدت فيها أسس البناء الاجتماعي والاقتصادي الصحيح، وهي أسس لا بد وأن تكون مثالاً للمجتمعات اللاحقة، يهتدون بها ويسيرون على نهجها في إقامة الدول والمجتمعات، ولا يكون ذلك إلا من خلال دراسة السيرة النبوية وتعلمها وبيان أهميتها من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما

(١) سورة الحجر: الآية ٩.
(٢) ينظر: الموقع الرسمي لإذاعة القرآن الكريم الفلسطينية، بتاريخ ٢١/ ٣/ ٢٠١١م.
(٣) وذلك تصديقاً لقول الرسول (ﷺ): ((خير أمتي – وفي رواية خير الناس – قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ... الحديث)). ينظر: صحيح البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم: ٣٦٥٠، ٣٦٥١، ٥/ ٢-٣.

سنقف عليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: أهمية السيرة النبوية من الجانب الاجتماعي:

أولاً: فمن خلال السيرة النبوية نتعرف على أسس البناء المجتمعي الصحيح، تلك الأسس التي أقامها رسول الله (ﷺ) بدايةً في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة، والتي من خلالها:

١. نتعرف على التعامل المجتمعي السليم والصحيح الذي مارسه النبي (ﷺ) مع أهل بيته، وأسس وقواعد الزيجات المتعددة للنبي (ﷺ)، وأن أساس هذه الزيجات كانت لأهدافٍ سياسية واجتماعية كبيان فضل قبيلة معينة أو صحابي معين، ولم تكن بدوافع أخرى كما أشاع بعض المستشرقين. ومن خلال دراسة السيرة نتعرف على تعامل النبي (ﷺ) مع صحابته الكرام (رضي الله عنهم)، وكيف كان يلتقيهم سراً خلال المرحلة المكية في دار الأرقم بن أبي الأرقم (رضي الله عنه)، ثم كيف آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة للتخفيف على المهاجرين من آثار ترك الدار والأهل والمال، وبيان عكس ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن المهاجرين كانوا عالة على إخوانهم من الأنصار، ولنا في قصة عبدالرحمن بن عوف المشهورة وقوله لسعد بن الربيع (رضي الله عنهما) بعد ما عرض عليه من أمواله واختيار إحدى زوجاته يطلقها فيتزوجها عبدالرحمن، خير دليلٍ على تفنيد هذه الادعاءات حيث قال له عبدالرحمن بن عوف: (بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق)[1].

٢. وكيف أنه (عليه السلام) كان يتواضع وينزل عند مستوى كل شخصٍ يكلمه، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزِّل الناس منازلهم)[2]، ذلك أن الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنةً لهم فيأتي بغير المقصود، فقد كان الرسول الكريم (ﷺ) يخاطب حاضريه بما يُدركونه، فيُفهِم البدوي بما يناسب قسوته وبيئته التي ترعرع فيها، ويُفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته الحضرية التي عاش فيها.

٣. كما أنه (ﷺ) كان يراعي تفاوت المدارك، وانتباه أصحابه وقدراتهم الفطرية والمكتسبة، ومن ذلك: أن فتىً من قريش أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله إئذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه يزجرونه فقالوا: مه مه !! فقال (ﷺ): ((إدنه))، فدنا منه قريباً، فقال: ((أتحبه لأمك؟))، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم))، قال: ((أفتحبه لابنتك؟)) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم))، ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته وخالته، وفي كل ذلك يقول الفتى: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، فوضع ﷺ يده عليه وقال: ((اللهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحصّن فرجه))، فلم يكن الفتى يلتفت بعد ذلك

(١) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، رقم: ٣٩٣٧، ٥/ ٦٩.
(٢) صحيح مسلم: مقدمة الإمام مسلم (رحمه الله)، 6/ 1.

إلى شيء[1]. لقد اتبع رسول الله (ﷺ) أسلوباً تربوياً قويماً جعل الفتى يُدرك أثر الزنا في المجتمع، وكيف أن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم ولا لأهليهم، مثلما أنه لا يرضاه لأهله، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه[2].

٤. وكان (ﷺ) إذا تكلم تكلم ثلاثاً لكي يُفهم عنه ما يقول، وفي ذلك يروي أنس عن النبي (ﷺ): ((أنه كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً))[3]، والمراد بالسلام ههنا سلام الاستئذان بالدخول[4]. فهكذا يجد المربي في سيرة النبي ﷺ دروساً نبويةً في التربية والتأثير على الناس بشكل عامٍ وعلى صحابته الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً فريداً، وكوَّن منهم أمةً هي خير أمةٍ أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأقام بهم دولةً نشرت العدل والتسامح في مشارق الأرض ومغاربها بشكلٍ خاص[5].

ثانياً: كما توضح لنا السيرة النبوية كيفية تعامل النبي (ﷺ) مع خصومه من الكفار والمشركين والمنافقين وصبره عليهم، وحرصه الشديد على هدايتهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وذلك من خلال:

١. حرصه (ﷺ) على هداية قومه قريشاً لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكيف أن تعامله معهم في مكة كان على أساس المنفعة العامة والدفع بالتي هي أحسن، ثم كان تعامله معهم بعد الهجرة وبعد فتح مكة على أساس ائتلاف قلوبهم للإسلام والعفو والصفح عنهم.

٢. وحرصه (ﷺ) أيضاً على إقامة أفضل العلاقات وأحسنها مع أهل الكتاب سواء في المدينة أو خارجها. ولعل خير دليلٍ على ذلك التعامل المجتمعي الراقي ما تناولناه في المبحث الأول من بنود صحيفة المدينة وكتاب الصلح مع نصارى نجران.

ثالثاً: ومن خلال بيان هذا التعامل النبوي الراقي مع المخالفين، نستطيع أن نفند أكاذيب وادعاءات المغرضين له (ﷺ)، ونبين أن أساس تعامله مع كل الناس كان قائماً على السعي لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور:

١. وإن المنهج التربوي الدعوي الذي اختطه الباري عز وجل وسار عليه الحبيب المصطفى وأمر المسلمين بإتباعه يقوم على دعوة المخالفين إلى الإسلام ومخاطبتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لا بالتخويف ولا بالترويع أو الترهيب الذي قد

(١) ينظر: مسند الامام أحمد بن حنبل: من حديث أبي أمامة الباهلي، رقم:٢٢٢١١، ٣٦/ ٥٤٥. وقال عنه المحققون: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح.
(٢) ينظر: السُنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب: ص٤٨-٥٠.
(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم:٩٥، ١/ ٣٠.
(٤) ينظر: السُنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب: ص51.
(٥) ينظر: السيرة النبوية للصلابي: ص٦.

يكون له الأثر السيء على مسيرة الدعوة الإسلامية وما تعكسه من نتائج. وكان الهدف الأسمى من هذه الدعوة المحمدية السمحة هو إخراج الناس من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور الإسلام والتوحيد، وانصهار المخالفين - بعد إسلامهم - في المجتمع، وتحقيق التعايش السلمي، وبالتالي مساهمتهم في بناء الحضارة الإسلامية.

٢. كان الرسول (ﷺ) حريصاً على هداية الناس جميعاً ودعوتهم إلى الإسلام وكسبهم واستمالتهم بالحكمة والموعظة الحسنة بدلاً من قتالهم ودفعهم إلى اعتناقه بالقوة، وهذا الذي أدى به إلى ملاطفتهم والتكلم معهم بأرق الكلام وألينه، والإحسان إلى أسراهم والعفو عنهم، ودعوته أصحابه (رضي الله عنهم) ومن ثم الأمة الإسلامية إلى الالتزام بهذا الهدي الراقي في التعامل مع المخالفين لنكون بهذا الدين القويم والسمح خير أُمةٍ أُخرجت للناس تدلهم إلى طريق الحق ليخرجوا من ظلام الكفر والوثنية إلى نور الإسلام والتوحيد.

٣. بما عرف عنه من خلق عظيم فلم يكن النبي محمد (ﷺ) ليدعو على المخالفين له، بل كان (عليه السلام) يدع الله لهم بالهداية والتوفيق إلى طريق الحق طريق الإسلام، وهذا ما حصل مع مشركي قريش بعد غزوة أحد إذ قال (عليه السلام) للصحابي الذي طلب منه أن يدع على قريش ويستنزل اللعنة عليهم: ((إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثتُ داعياً ورحمةً للناس، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون))[1]، والأمر ذاته تكرر يوم حاصر (عليه السلام) ثقيفاً في الطائف إذ رد على الصحابي الذي طلب منه أن يدع على ثقيف، فقال (ﷺ): ((اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم))[2]، فكان من رحمته (ﷺ) وحسن دعوته أنه كان يدع للمخالفين بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة، فكان (عليه السلام) يشفق عليهم ويدع لهم بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (ﷺ).

٤. إن هذا المنهج النبوي الذي انتهجه رسول الله (ﷺ) مع المخالفين له من أجل استمالتهم وهدايتهم ثم اكتسابهم إلى الصف الإسلامي قد آتى أكله مع قريش وثقيف وهوازن وغيرها من القبائل في شبه الجزيرة العربية، ثم آت أكله أيضاً مع العديد من رجالات أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين اعتنقوا الإسلام وآمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين.

٥. وبالتالي فإن هذا المنهج النبوي في خطاب المخالفين هو دعوةُ تجديدٍ لخطاب الامة ليكون المسلمون على بينةٍ في تعاملاتهم وسياساتهم الداخلية والخارجية، ولكي لا تكون خطابات بعضهم ذريعة يتخذها أعداء الإسلام ضده وضد نبيه العدنان (صلوات ربي وسلامه عليه).

المطلب الثاني: أهمية السيرة النبوية من الجانب الاقتصادي:

يمكن بيان أهمية دراسة السيرة النبوية من الناحية الاقتصادية من خلال النقاط الآتية:

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ١/ ٢٢١؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس: ٢/ ٣٩٨.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٨٨.

١. إن السيرة النبوية تبين حث الإسلام ونبيه الكريم محمد (ﷺ) على العمل والكسب الحلال، وتجنب الرزق الحرام والغش والربا، وما إلى ذلك من الممارسات الاقتصادية الذميمة، فيستقي منها التُجار والزُراع والصُناع مقاصد التجارة والزراعة والصناعة وأنظمتها وطرقها.

٢. كما وتبين السيرة النبوية سياسة الرسول (ﷺ) الاقتصادية التي بدأها بترك الدار والمال والهجرة إلى الله تعالى، وأن كل متعلقات الدنيا الاقتصادية تذهب فداءً للدعوة إلى الله تعالى، لأن من اتقى الله وجعله مقتبله ومأواه يسر له أموره ورزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1].

٣. كما وتوضح السيرة النبوية سياسة الرسول (ﷺ) الاقتصادية التي تمكن من خلالها من التخفيف عن أعباء المهاجرين – الذين تركوا أموالهم وأملاكهم بل وحتى أهليهم وهاجروا معه إلى المدينة – وذلك من خلال ما تضمنته المؤاخاة التي أقامها النبي (ﷺ) بينهم وبين والأنصـــار، حيث أنه (ﷺ) آخى بينهم على المواساة، فيتوارثون بعد المـوت دون ذوي الأرحـــام، إلـى حين وقعة بدر، فلما نزل قول الله تعالى:﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[2] رد النبي (ﷺ) التوارث، دون عقد الأخوة[3].

٤. ومن خلال دراسة السيرة النبوية نعرف الحكم والغايات التي من أجلها وضعت الجزية والخراج، وكذلك نعرف الأُسس الشرعية لقسمة الفيء والغنائم، وأن النبي (ﷺ) لم يُبعث ليجبي من الناس ويفرض عليهم الضرائب دون مقابل، بل إن كل ما كان يقع من جزيةٍ أو خراجٍ أو ديةٍ إنما كانت لأسباب شرعية أكثر منها سياسية أو اقتصادية أو حتى اجتماعية، فإما أن تكون مقابل بقاء أهل الكتاب على ديانتهم كالجزية، أو مقابل دفع أصحاب الأرض حق احتفاظهم بأرضهم كالخراج، أو أن تكون نتيجة قتلٍ عن غيرِ قصدٍ أو ما شابه ذلك كالدية.

٥. كما نتعلم من خلال السيرة النبوية أن الأمور لا تأخذ بالظاهر، فقد يتم اللجوء إلى عمل قد يرى البعض في ظاهره إساءة اقتصادية، لكنه في حقيقته حصل لغاية أهم وأولى من هذا الضرر الاقتصادي، كما حصل مع تقطيع المسلمين لنخيل بني النضير، قال تعالى ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[4]، ذلك أن هؤلاء اليهود لما تحصنوا في حصونهم، أمر بهم رسول الله ﷺ فقُطّعت نخيلهم وأُحرقت، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من صنعه، فما بال النخل تأمر بقطعها وتحريقها[5]، فجاء هذا القطع لأشجار النخيل ليزلزل قلوب يهود بني النضير فيرون أموالهم تقطع أمام أعينهم فينزلون عن

(١) سورة الطلاق: من الآيتين 3-2.
(٢) سورة الأحزاب: من الآية 6.
(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: ٣/ ٥٦-٥٧.
(٤) سورة الحشر: الآية ٥.
(٥) ينظر: سيرة ابن هشام: ٢/ ١٩١.

حصونهم، فكان في ذلك إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم ونكاية بهم، وإرغام لأنوفهم[1].

٦. ومن خلال السيرة النبوية نتعلم أنه بالإمكان تسخير موارد الدولة الاقتصادية لنصرتها وكف بأس العدو عنها، كما فعل الرسول (ﷺ) عندما استشار السعدين – سعد بن معاذ وسعد بن عبادة (رضي الله عنهما) – يوم الخندق بأن يفاوض بعض أذرع الأحزاب على أن لهم ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم وترك قريش ومن معها من اليهود، من أجل توهين قوة هذه الأحزاب، فقد بعث (ﷺ) إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينهم الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً نحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم بقوس واحدة، وأحاطوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ (رضي الله عنه) الصحيفة، فمحا ما فيها، ثم قال: ليجهدوا علينا[2].

٧. كما أن السيرة النبوية جاءت لتؤكد بأن الحيوانات والنباتات كائنات حية، تحيا وتموت وتتغذى، فنرى أن جذع نخلةٍ كان يخطب عليه رسول الله (ﷺ)، لما تركه سمع له أنين شوقٍ لوقوف خير البشر عليه (ﷺ)، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ)، كان يخطب إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر تحول إلى المنبر، فحن الجذع حتى أتاه رسول الله (ﷺ)، فاحتضنه فسكن، فقال رسول الله (ﷺ): ((لو لم أحتضنه، لحن إلى يوم القيامة))[3]. وأن رحمة الرسول (ﷺ) جاءت لتشمل الحيوانات كذلك، فعن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرةً معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تفرش، فجاء النبي (ﷺ) فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن. قال: ((إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار))[4]. إذن من خلال كل ذلك نلمس الرحمة

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٩١.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٢٣.

(٣) مسند الإمام أحمد: من مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن عباس، رقم:٢٤٠٠، ٤/ ٢٧٧. وقال عنه المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) سنن أبي داؤود: كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق

الإلهية التي جاءت وتمثلت برحمة النبي (ﷺ) بجميع الكائنات الحية، كالحيوانات بل وحتى بجذع هذه الشجرة، فمن يكون عطوفاً رحيماً بالحيوانات وبجذعٍ شجرةٍ مقطوعةٍ بكل تأكيد نجده رحيماً بالإنسان أكثر من دعاة الغرب اليوم الذين ينادون بحقوق الإنسان والحيوان ونراهم بأفعالهم وتصرفاتهم بعيدين كل البعد عن أبسط حق من حقوق الإنسان.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
أهمية السيرة النبوية من الجانبين السياسي والعسكري

كما إن للسيرة النبوية أهمية كبيرة من الناحيتين السياسية والعسكرية، والتي من خلالها نلمس المنهج الاداري والسياسي الذي سار عليه النبي (ﷺ) في إدارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية. وكذلك الأسلوب العسكري الراقي الذي سار عليه النبي (ﷺ) في معاركه وغزواته والغاية الأساسية التي من أجلها تسل السيوف، تلك الغاية الإنسانية التي جهل عنها أعداء الإسلام، فباتوا يشوهون تعاليم هذا الدين السمح، ويحاولون قدر الإمكان صد الناس عنه بتلطيخ دماء الإرهاب الذي جاؤوا به بأنفسهم وألصقوه بهذا الدين العظيم. وهذا كله ما سنقف عنده في مبحثنا هذا.

المطلب الأول: أهمية السيرة النبوية من الجانب السياسي:

١. إذ تبين السيرة النبوية سياسة النبي (ﷺ) في دعوته المكية، وكيف أنه سايس قريشاً وبذل الغالي والنفيس في سبيل هدايتهم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢. وأنه في هذه المرحلة (المكية) لم يكن لينشأ دولة الإسلام في ظل عدم توافر عوامل قيامها المتمثلة بالأرض والشعب والقيادة.

٣. وأن جهده (ﷺ) في هذه المرحلة كان منصباً على حماية المسلمين من أذى وبطش قريش، فكانت دعوته لأصحابه سراً ثم بعد تزايد أذى قريش لهم دعاهم أولاً إلى الهجرة إلى الحبشة أواسط السنة الخامسة للبعثة، ثم كانت هجرته هو (ﷺ) إلى الطائف على أمل أن يلقى فيها الدعم والتأييد من أهلها، ثم كانت دعوته (ﷺ) للأفراد والجماعات والقبائل التي كانت تأتي مكة في موسم الحج، والتي تكللت بإسلام نفر من أهل يثرب من الأوس والخزرج به (ﷺ) ولقاءهم به في العقبتين الأولى والثانية، والتي انتهت بهجرته وصحابته من مكة إلى المدينة.

٤. وحال وصوله (ﷺ) المدينة باشر بتنظيماته وأعماله التي تمثلت بدايةً ببناء المسجد النبوي والمؤاخاة وصحيفة المدينة.

العدو بالنار، رقم:٢٦٧٥، ٣/ ٥٥، وكتاب أبواب النوم، باب في قتل الذر، رقم:٥٢٦٨، ٤/ ٣٦٧. وفي هامشه حكم الألباني عليه بأنه صحيح.

٥. وأنه (ﷺ) في المرحلة المدنية تمكن من إقامة دولة الإسلام الناشئة وذلك بعد أن توفرت لديه عوامل قيامها من: أرضٍ (وهي المدينة) وشعبٍ (من المهاجرين والأنصار ومن تحالف معهم من يهودها بموجب الصحيفة) وقيادةٍ موحدةٍ (متمثلةً به ﷺ)، وكيف كانت سياسته الحكيمة الداخلية والخارجية في إدارة شؤونها.

٦. فيتضح من خلال دراسة السيرة النبوية المنهج السياسي الراقي الذي أدار به النبي (ﷺ) دولته في المدينة وكيف أنه بحكمته وإدارته وحَّد أعداء الأمس – الأوس والخزرج – تحت راية الإسلام. وكيف أنه تعامل مع أعدائه في داخل المدينة وخارجها، فمن السيرة النبوية يتعلم السياسي كيف كان النبي (ﷺ) يتعامل مع أشد خصومه السياسيين، كرئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض للرسول (ﷺ)، وكيف كان يحوك المؤامرات والدسائس، وينشر الإشاعات الكاذبة التي تُسيءُ إلى رسول الله (ﷺ) بغية إضعافه وتنفير الناس عنه، وكيف عامل رسول الله (ﷺ) هذا المنافق وصبر عليه وعلى حقده حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعاً حتى أقرب الناس إليه وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي (ﷺ)[1].

٧. وأن هذه السياسة النبوية الحكيمة هي التي ألفت قلوب المهاجرين والأنصار حوله، فمكنه الله تعالى من دحر أعدائه في الداخل والخارج، ومن فتح مكة ونشر الإسلام في أرجاء شبه الجزيرة العربية.

المطلب الثاني: أهمية السيرة النبوية من الجانب العسكري:

١. فمن خلال دراسة السيرة النبوية نتعرف على الغاية الأساسية لتكوين الجيوش الإسلامية، والأهداف التي تُخاضُ من أجلها المعارك، والغاية التي من أجلها تُسل السيوف، والتي تتمحور في إعلاء كلمة الله وكسر الحواجز التي تقف عائقاً في سبيل نشر الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبالتالي ليست الغاية من حمل السيوف وسلها القتال لإرغام الناس على الدخول في الإسلام، ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو المنهج العسكري الذي أمر به النبي (ﷺ) صحابته الكرام ومن بعدهم أمته أن يسيروا عليه في معاركهم وفتوحاتهم، والتي تبدأ بالدعوة إلى الإسلام، أو الجزية، وإلا فالسيف، ومن هنا نجد بأن خيار السيف كان الخيار الأخير في الدعوة إلى الإسلام، ولم يكن في يومٍ من الأيام هو الحل الأوحد لنشر الإسلام. فإلى هذا ليرجع أعداء الإسلام في أثناء كلامهم عن الإسلام ونبيه العدنان (صلوات ربي وسلامه عليه)، وأن لا يكون كلامهم دافعه تشويه تعاليم الإسلام وطمس الحقائق من أجل التعتيم والتضليل على من يريد اعتناق هذا الدين القويم الذي لم ولن يكن دين إرهابٍ ولا قتلٍ ولا سفكٍ للدماء ولا انتهاك للأعراض وتحت أي مسمىً كان.

٢. كما توضح السيرة النبوية العديد من المفاهيم العسكرية والخطط الحربية والأخلاق العسكرية التي

(١) ينظر: السيرة النبوية للصلابي: ص٦.

ينبغي أن تتحلى بها الجيوش الإسلامية. وأن تسير في ذلك على المنهج النبوي القائم على الشورى في اختيار الخطط العسكرية والنزول بالجيوش الإسلامية، وعلى الأخلاق الحميدة التي أمر بها رسول الرحمة في أثناء الحروب والمعارك، ومن ذلك أنه (ﷺ) كان إذا أمّرَ أميراً على جيشٍ أو سرية، أوصاه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: ((اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا))[1]. فهذه الوصية خير دليلٍ على نبل الإسلام ونبل نبيه (ﷺ) ونبل ما جاء به ودعا إليه من حسن التعامل مع الناس في المعارك، وأن الغاية الأساسية من الغزو والجهاد هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

٣. كما نستقي من السيرة النبوية خلق التعامل النبوي مع قتلى الأعداء وأسراهم، فأمام التكريم الإلهي لبني البشر﴿* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[2] لم يكن النبي (ﷺ) ليترك قتلى أعداءه بعد انتهاء المعركة وتمكنه عليهم لتأكلهم السباع والضباع - كما فعل بالأمس القريب من ادعى الإسلام من التنظيمات الإرهابية - بل كان يعمد لدفنهم كما فعل مع قتلى قريش يوم بدر، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: أمر رسول الله (ﷺ) بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم (ﷺ)، فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً. قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوماً موتى؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون[3]. كما أكد (ﷺ) في أحاديث عديدةٍ

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم: ١٧٣١، ٣/ ١٣٥٧.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.
(٣) ينظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٦٣٨-٦٣٩؛ صحيح

على حسن معاملة الأسرى، فقال: ((فكوا العاني، يعني: الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض))[1]، وقد طبق (ﷺ) ذلك بأسارى بدر، حيث قبل منهم الفداء، فمن لم يكن عنده فداء طلب منه تعليم عشرة من غلمان المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه، كما منَّ على عددٍ منهم بدون مقابل[2].

٤. وأمام كل هذه القيم والمبادئ النبيلة يجد القائد العسكري في سيرة النبي ﷺ نظاماً محكماً ومنهجاً دقيقاً في فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقةً في التنفيذ بينةً وحرصاً على تجسيد مبادئ العدل والتسامح، وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء وبين الراعي والرعية[3].

من هنا كان لزاماً علينا أن نتعلم سيرة نبي الرحمة والإنسانية النبي المربي والقدوة والقائد محمد (ﷺ) وأن نعلمها لأبنائنا وطلبتنا ومجتمعاتنا، وأن نعمل وندعو إلى العمل بها من أجل استلهام العبر والعظات والدروس والمواعظ التي تُعيننا على الدعوة إلى الله وتعكس ايجابية دعوته (ﷺ) والغاية النبيلة التي بُعث من أجلها والتي تتمخض في رحمته (صلوات ربي وسلامه عليه) بالعالمين من أجل إخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4]. وبالتالي دعوة الآخرين لحسن الظن بالإسلام والكف عن تشويه تعاليمه وصورة نبيه (ﷺ) التي يكفي أن رب العزة جل في علاه زكى أخلاقه فقال في محكم التنزيل﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[5].

❋ ❋ ❋

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لموضوع – أهمية تعلم السيرة النبوية والعمل بها في مواجهة تحديات الإساءات المتكررة لشخص النبي ﷺ – خلص البحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

١. إن أهمية دراسة السيرة النبوية تأتي من حيث دخولها في عدة جوانب، أهمها: الجانب الدعوي، الجانب العلمي، الجانب الاجتماعي، الجانب الاقتصادي، الجانب السياسي، والجانب العسكري. وأن هذه الجوانب تعكس خلق النبي (ﷺ)، ومنهجه الاصلاحي في الحياة، ودعوته الرحيمة للناس عموماً، وبالتالي نفند من خلالها كل ادعاءٍ باطلٍ ينال من النبي (ﷺ).

٢. فمن الناحية الدعوية تبين السيرة النبوية المنهج

البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم: ١٣٧٠، ٢/ ٩٨.

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم: ٣٠٤٦، ٤/ ٦٨.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام: 659/1؛ الرحيق المختوم: ص٢٠٩.

(٣) ينظر: السيرة النبوية للصلابي: ص6.

(٤) سورة الأنبياء: الآية 107.

(٥) سورة القلم: الآية ٤.

الذي سار عليه النبي (ﷺ) في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال الأسلوب الدعوي الراقي الذي تنباه (عليه السلام) في دعوته للناس، والقائم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتدرج في الدعوة. كما يجد الداعية في سيرة رسول الله ﷺ أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله ﷺ من أجل إعلاء كلمة الله، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات والصعوبات، وبالتالي تُبرز دراسة السيرة دور الداعية في تحمل مسؤولية نشر الدين، وبذل الجهد وتحمل الأذى والصبر عليه، ومواجهة ادعاءات أعداء الإسلام بقولهم إن الإسلام انتشر بحد السيف، وتفنيد ذلك بالاعتماد على سيرة النبي (ﷺ) وأسلوبه الدعوي الراقي الذي سار عليه والذي أمر الصحابة ومن بعدهم الأمة باتباعه، والذي كان فيه السيف الخيار الأخير في الدعوة.

٣. ومن الناحية العلمية تعتبر السيرة النبوية مصدراً مهماً لمن يريد التبحر في علوم الشريعة، ولمن أراد التفقه في كتاب الله العزيز، فعن طريقها يتمكن المفسر من تفسير العديد من آيات القرآن الكريم ومعرفة أسباب نزولها، والتعرف على الناسخ والمنسوخ من الآيات القرآنية، ومعرفة الأحكام الخاصة بها. ومن خلال دراسة السيرة النبوية نبين أهمية العلم والتعلم، والمنهج التربوي العلمي الصحيح الذي أقامه النبي (ﷺ) وربى الصحابة عليه والأسس التي اتبعها وراعاها النبي المربي محمد (ﷺ) في تربية الصحابة الكرام (رضي الله عنهم). كما يمكننا من خلال معرفة الجانب العلمي في السيرة النبوية أن نفند الادعاءات الغربية المغرضة التي شوهت صورة الرسول الكريم (ﷺ) ووصفته بأوصافٍ بدائية، إذ يستحيل أن يستطيع رجل بدائي لا يفقه من الحياة شيئاً، أن يقيم دولة أساسها العلمي والمعرفي امتد لمئات السنين، وأمست أساس التطور والحضارة في العالم خلال عصور إسلامية متعددة بدءاً بعصر صدر الإسلام ثم العصرين الأموي والعباسي، ويكفي تفنيداً لهذه الادعاءات أن معجزة الرسول الكريم محمد (ﷺ) الكبرى القرءان الكريم، ذلك الكتاب الأبدي المعجز.

٤. أما في المجال الاجتماعي فقد أقام (ﷺ) دولةً متميزةً تجسدت فيها أسس البناء الاجتماعي الصحيح، وهي أسس لا بد وأن تكون مثالاً للمجتمعات اللاحقة، يهتدون بها ويسيرون على نهجها في إقامة الدول والمجتمعات، ولا يكون ذلك إلا من خلال دراسة السيرة النبوية وتعلمها وبيان أهميتها من الناحية الاجتماعية. فمن خلال السيرة النبوية نتعرف على أسس البناء المجتمعي الصحيح، تلك الأسس التي أقامها رسول الله (ﷺ) بدايةً في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة. كما توضح لنا السيرة النبوية كيفية تعامل النبي (ﷺ) مع أهل بيته وصحابته وكذلك مع خصومه من الكفار والمشركين والمنافقين وصبره عليهم، وحرصه الشديد على هدايتهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور،

وبالتالي نستطيع أن نفند أكاذيب وادعاءات المغرضين له (ﷺ)، ونبين أن أساس تعامله مع كل الناس كان قائماً على السعي لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإن هذا المنهج النبوي في خطاب المخالفين هو دعوةُ تجديدٍ لخطاب الامة ليكون المسلمون على بينةٍ في تعاملاتهم وسياساتهم الداخلية والخارجية، ولكي لا تكون خطابات بعضهم ذريعة يتخذها أعداء الإسلام ضده وضد نبيه العدنان (صلوات ربي وسلامه عليه). فمن الناحية الاجتماعية يجد المربي في سيرته ﷺ دروساً نبويةً في التربية والتأثير على الناس بشكل عام وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً فريداً، وكوَّن منهم أمةً هي خير أمةٍ أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وأقام بهم دولةً نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها بشكل خاص.

٥. ومن الناحية الاقتصادية تبين السيرة النبوية حث الإسلام ونبيه الكريم محمد (ﷺ) على العمل والكسب الحلال، وتجنب الرزق الحرام والغش والربا، وما إلى ذلك من الممارسات الاقتصادية الذميمة، فيستقي منها التجار والزراع والصناع مقاصد التجارة والزراعة والصناعة وأنظمتها وطرقها. كما وتبين السيرة النبوية سياسة الرسول (ﷺ) الاقتصادية التي بدأها بترك الدار والمال والهجرة إلى الله تعالى، وأن كل متعلقات الدنيا الاقتصادية تذهب فداءً للدعوة إلى الله تعالى. كما وتوضح السيرة النبوية سياسة الرسول (ﷺ) الاقتصادية التي تمكن من خلالها من التخفيف عن أعباء المهاجرين وذلك من خلال ما تضمنته المؤاخاة التي أقامها النبي (ﷺ) بينهم وبين والأنصـــار. ومن خلال دراسة السيرة النبوية نعرف الحكم والغايات التي من أجلها وضعت الجزية والخراج، وكذلك نعرف الأسس الشرعية لقسمة الفيء والغنائم، وأن النبي (ﷺ) لم يُبعث ليجبي من الناس ويفرض عليهم الضرائب دون مقابل، بل أن كل ما كان يقع من جزيةٍ أو خراجٍ أو ديةٍ إنما كانت لأسباب شرعية أكثر منها سياسية أو اقتصادية أو حتى اجتماعية. ومن خلال السيرة النبوية نتعلم أنه بالإمكان تسخير موارد الدولة الاقتصادية لنصرتها وكف بأس العدو عنها. كما أن السيرة النبوية جاءت لتؤكد رحمة النبي (ﷺ) بالحيوانات والنباتات أيضاً، وأن من يكون عطوفاً رحيماً بالحيوانات وبجذعٍ شجرةٍ مقطوعةٍ بكل تأكيد نجده رحيماً بالإنسان أكثر من دعاة الغرب اليوم الذين ينادون بحقوق الإنسان والحيوان ونراهم بأفعالهم وتصرفاتهم بعيدين كل البعد عن أبسط حق من حقوق الإنسان.

٦. كما أن للسيرة النبوية أهمية كبيرة من الناحية السياسية، والتي من خلالها نلمس المنهج الاداري والسياسي الذي سار عليه النبي (ﷺ) في إدارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية. إذ تبين السيرة النبوية سياسة النبي (ﷺ) في دعوته المكية، وكيف أنه سايس قريشاً وبذل الغالي والنفيس في سبيل هدايتهم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وأنه في هذه المرحلة (المكية) لم يكن لينشأ دولة الإسلام في ظل

عدم توافر عوامل قيامها والمتمثلة بالأرض والشعب والقيادة، وأن جهده (ﷺ) في هذه المرحلة كان منصباً على حماية المسلمين من أذى وبطش قريش. ثم كانت هجرته وصحابته من مكة إلى المدينة، والتي حال وصوله إليها باشر بتنظيماته وأعماله التي تمثلت بدايةً ببناء المسجد النبوي والمؤاخاة وصحيفة المدينة. وأنه (ﷺ) في المرحلة المدنية تمكن من إقامة دولة الإسلام الناشئة وذلك بعد أن توفرت لديه عوامل قيامها من: أرضٍ وشعبٍ وقيادةٍ موحدةٍ، وكيف كانت سياسته الحكيمة الداخلية والخارجية في إدارة شؤونها.

٧. أما من الناحية العسكرية فنتعلم الأسلوب العسكري الراقي الذي سار عليه النبي (ﷺ) في معاركه وغزواته ونتعرف على الغاية الأساسية التي من أجلها تسل السيوف، والتي تتمحور في إعلاء كلمة الله وكسر الحواجز التي تقف عائقاً في سبيل نشر الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبالتالي ليست الغاية من حمل السيوف وسلها القتال لإرغام الناس على الدخول في الإسلام، ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو المنهج العسكري الذي أمر به النبي (ﷺ) صحابته الكرام ومن بعدهم أمته أن يسيروا عليه في معاركهم وفتوحاتهم، والتي تبدأ بالدعوة إلى الإسلام، أو الجزية، وإلا فالسيف، ومن هنا نجد بأن خيار السيف كان الخيار الأخير في الدعوة إلى الإسلام. كما توضح السيرة النبوية العديد من المفاهيم العسكرية والشورى والخطط الحربية والأخلاق العسكرية التي ينبغي أن تتحلى بها الجيوش الإسلامية وقاداتها وأمراءها. كما نستقي من السيرة النبوية خلق التعامل النبوي مع قتلى الأعداء وأسراهم. وأمام كل هذه القيم والمبادئ النبيلة يجد القائد المحارب في سيرة النبي (ﷺ) نظاماً محكماً ومنهجاً دقيقاً في فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب والأمم. فإلى هذا ليرجع أعداء الإسلام في أثناء كلامهم عن الإسلام ونبيه (ﷺ)، وأن لا يكون كلامهم دافعه تشويه تعاليم الإسلام وطمس الحقائق من أجل التعتيم والتضليل على من يريد اعتناق هذا الدين القويم الذي لن ولم يكن دين إرهابٍ ولا قتلٍ ولا سفكٍ للدماء ولا انتهاكٍ للأعراض.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر الأولية:

١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٤١٩هـ).

٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، (بيروت:١٤٢٢ه).

٣. الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب

بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت:١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد و سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، (القاهرة: د.ت).

٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، ط٢٧، مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية، (بيروت – الكويت:١٩٩٤م).

٥. سنن أبي داؤود: أبو داؤود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجِستاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، (صيدا- بيروت: د.ت).

٦. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٣م).

٧. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت:٢٠٠١م).

٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت:١٩٨١م).

٩. السيرة النبوية: جمال الدين أبومحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت:٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة:١٩٥٥م).

١٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت:٥٤٤هـ)، ط٢، دار الفيحاء، (عمان:١٩٨٦م).

١١. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس (ت:٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم، (بيروت:١٩٩٣م).

١٢. الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الشيباني الجزري (ت:٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٧م).

١٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم الضبي الطهماني النيسابوري (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، (القاهرة:١٩٩٧م).

١٤. مسند الامام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت:٢٠٠١م).

١٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ – صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم

بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: د.ت).

ثالثاً: المراجع الحديثة:

١. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبار كفوري (ت:١٤٢٧هـ): ط١، دار الهلال، (بيروت: د.ت).

٢. السُنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب: ط١، مطبعة أحمد مخيمر، (القاهرة:١٩٦٣م).

٣. السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي: ط٧، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت:٢٠٠٨م).

٤. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي(ت:١٤٣٤هـ): ط٢٨، دار الفكر، (دمشق:٢٠٠٩م).